

أسباب تألف القلوب- خطبة لسماحة المفتي عبد العزيز آل الشيخ

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 4-11-1430

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، دعا الإسلام إلى تقارب القلوب وتألفها ونهى عن تباعدها وتنافرها؛ فإن القلوب إذا تألفت اجتمعت على الخير، وقويت الروابط بين أفراد الأمة المسلمة وتعاون الجميع على البر والتقوى والتناصر والتعاون فيما بينهم، وحل الوئام والوفاق والمحبة محل البغضاء والعداوة والخصومة، ولكسب القلوب وتألفها أسباب ووسائل، قد بينها الله في كتابه، وبينها رسوله -صلى الله عليه وسلم- في سنته؛ فأعظم سبب لتألف القلوب: هو اجتماعها على الإيمان بالله ورسوله ودينه؛ فذاك من أقوى الأسباب لتألف القلوب ومحبة البعض للبعض، قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)، وقال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، وقال: (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)، وأخبرنا جل وعلا أنه القادر على ذلك دون سواه؛ فقال لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: (هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ* وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)؛ فأخوة الإيمان والإسلام من أقوى أسباب ترابط القلوب واجتماعها، ومن الوسائل أيضاً تقارب القلوب: تقوى الله في كل الأحوال؛ فتقوى الله صلة قوية بين المتقين، دائمة إلى يوم القيامة: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)؛ فالمتقون محبتهم دائمة؛ لأنها لم تقم على مصالح مادية، وإنما قامت على ضوابط شرعية، ومن أسباب تألف القلوب: إفشاء السلام والمصافحة، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم"، وقال: "إذا تصافح المسلمان وحمد الله واستغفراه غفر لهما"، ومن أسباب تقارب القلوب وتألفها، من أسباب ذلك البشاشة وعدم عيباس الوجه بوجه أخيك، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق"، وقال أيضاً: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة"، ومن أسباب تألف القلوب الخطاب الطيب، والكلمات الطيبة المؤثرة النافعة، يقول الله جل وعلا: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)، ويقول جل وعلا: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، ومن أسباب تقارب القلوب: التهادي بين الناس، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "تهادوا تحابوا"، ومن الأسباب أيضاً تألف القلوب: حسنك الظن بأخيك المسلم؛ فتظن به ما هو لائق به من الخير، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباعضوا"، ومن أسباب تألف القلوب: ما أرشد إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن المؤمن إذا أحب أخاه بالله؛ فليشعره بأنه يحبه في الله؛ لأن تلك المحبة في الله هي من كمال الإيمان، ومن أسباب تألف القلوب: رفق الإنسان في أقواله وأفعاله، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عمل الرفق ما لا يعطي على العنف وعلى ما سواه"، إذا فالرفق يحقق المطلوب بتوفيق الله بدون إشكال ولا مشقة، ومن أسباب تألف القلوب: صلة الأرحام؛ فإن صلة الأرحام تقرب بين قلوب الأرحام والأقارب، يقول

الله: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)، وحذر من القطيعة؛ فقال: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)، ولما خلق الله الخلق قامت الرحم؛ فقال: "اللهم أنت الرحمان وأنا الرحم قال: "ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك"، قالت: "نعم"، ومن أسباب تألف القلوب: المحبة في الله والتزاور في ذات الله يقول صلى الله عليه وسلم:- " قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتجالسين فيّ "، ومن أسباب تألف القلوب: فعل الإحسان وبذل المعروف يقول الله جل وعلا: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)، ويقول صلى الله عليه وسلم:- "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس"، ومن أسباب تألف القلوب: عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أسباب تألف القلوب: سترك عورة أخيك المسلم، وعدمك إفشاء أحواله التي اطلعت عليها، بل تنصحه وتوجهه وتستر عورته ففي الحديث: "من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة"، من أسباب تألف القلوب: إدخالك السرور على أخيك المسلم، سئل النبي صلى الله عليه وسلم- أي العمل أفضل؟ قال: "إدخالك السرور على أخيك المسلم"، كسوت غريمه، وأشبعت بطنه، وقضيت حاجته، ومن أسباب تألف القلوب: إغاثة الملهوف؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم- قال: "على كل مسلم صدقة"، قالوا فإن لم يجد، قال: "يعملوا بيديه ويتصدق"، قالوا فإن لم يستطع، قال: "يعين ذا الحاجة الملهوف"، ومن أسباب تقارب القلوب: شفاعتك لأخيك المسلم في أمر يعجز عنه وأنت قادر عليه، يقول صلى الله عليه وسلم:- "اشفعوا تؤجروا"، ويقض الله على لسان نبيه ما شاء، ومن أسباب تألف القلوب: احترام الجار وإكرامه وكف الأذى عنه فالنبي صلى الله عليه وسلم- يقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليحسن إلى جاره" -وفي لفظ-: " فلا يؤذي جاره" -وفي لفظ- يقول صلى الله عليه وسلم- : "لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه"، أي: غدراته وخيانتته، ومن أسباب تألف القلوب: السماحة في التعامل بالبيع والشراء يقول صلى الله عليه وسلم:- "رحم الله امرئ سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى"، ومن أسباب تألف القلوب أيضاً: التيسير على المعسر: "قبضت الملائكة روح رجل من قبلنا؛ فقيل له: هل لك من عمل؛ فقال: لا، لا أعرف شيئاً، إلا أنني كنت أدين الناس؛ فأمر فتياي أن ينظروا المعسر، وييسروا على الموسر، قال الله: تجاوزا عنه"، ومن أسباب تألف القلوب: النفقة على الأقربين، على الأولاد والزوجة؛ فإن النفقة على الأولاد والإحسان إليهم من أسباب تقارب قلوبهم مع أبويهم، وتألف الجميع؛ فالنفس مجبولة على حب من أحسن إليها وواساها.

أيها المسلم، تلك أمور تعين على تألف القلوب، واجتماع كلمة الأمة، ومن أسباب ذلك: ما يوفق الله البعض للإصلاح بين الناس، وحمل الخير: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)، فاحرصوا على تألف قلوبكم، وابتعدوا عما يسبب تكدر الحياة وتنافر القلوب لعلكم تفلحون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

فكما أسلفنا تلکم بعض الأسباب، التي تسبب تآلف القلوب؛ فلنحذر من أسباب تكدر صفو القلوب، وتسبب تباعد البعض عن البعض، ومن تلکم الأسباب: معاص الله؛ فإن المعاصي تفرق بين أهلها؛ فأهل المعاصي ليسوا على قلب واحد، يقول صلى الله عليه وسلم: "ما تحابا اثنان؛ فتباغضا إلا ذنب من أحدهما"؛ فالإخوان إذا تحابا ثم تباعدا فلا بد أن يكون من ذنب أحدهما؛ فالتوبة إلى الله مطلوبة، ومن أسباب تباعد القلوب: الكلمات البذيئة، الكلمات الفاحشة ومخاطبة الآخرين بالأقوال السيئة؛ فليس المسلم بالسباب، ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا البذيء، ولكنه طاهر اللسان يقول الكلمات الطيبة وفي الحديث: "والكلمة الطيبة صدقة"؛ فإن بعض الكلام يثير الفتن ويباعد القلوب: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)، ومن أسباب تباعد القلوب، من أسبابها: تناجي اثنان دون الثالث؛ فالنبي قال: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما؛ فإن ذلك يحزنه"، ومن أسباب التباعد: الإصغاء إلى أقوال النمامين، والكذابين، والخونة المفسدين، الذين يسعون في الأرض فساداً، ليفرقوا بين الأحبة، في الحديث: "خيركم من إذا روي ذكر الله، وشركم المشاء بالنميمة"، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبعضاء العنت، ومن أسباب تباعد القلوب: جحد الحقوق وإنكارها؛ ففي الحديث: "مطل الغني ظلم يحل عرضه وعقوبته"؛ فإياك أن تباع على بيع أخيك أو تشتري على شراء أو تخطب على خطبته؛ فكل ذلك من أسباب الفرقة بين الجميع؛ فلنتق الله في أنفسنا، ولنحرص على تآلف قلوبنا وصلاح سرائرنا، نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد في القول والعمل.

واعلموا -رحمكم الله-، أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجملة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ، شذ في النار.

وصلوا -رحمكم الله- على عبدالله ورسولكم محمد كما أمركم بذلك ربكم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وارض اللهم عن خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين واجعل اللهم هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أمتنا وولاة أمرنا، اللهم وفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم وفق إمامنا إمام المسلمين عبدالله بن عبدالعزيز لكل خير، اللهم أمده بعونك وتوفيقك وتأيدك، اللهم اجعله بركة على نفسه وأهله والمسلمين أجمعين إنك على كل شيء قدير، اللهم شد أزره بولي عهده سلطان بن

عبدالعزيز وبارك له في عمره أمدته بالصحة والسلامة والعافية ووفق النائب الثاني لكل خير واجعلهم جميعاً قادة خير ودعاة هدى.

ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك وبلاغ إلى حين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم غيثاً نافعاً غير ضار عاجل غير آجل اللهم سقيا رحمة لا سقيا بلاء ولا هدم ولا غرق، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون؛ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.